هوامش

نشطت حركة سياحة الأجانب إلى العراق في الفترة الأخيرة، فالبلاد معروفة في كلّ الأحوال بمواقعها الأثرية المهمة. لكنّ السيّاح يدخلون سرّاً إلى العراق خوفاً من العنف

تجذب منطقة الأهوار الكثير من السياح (Getty)

السياحة في العراق

عنف يحكم الدخول والخروج سرّاً

بغداد ـ **زيد سالم**

يزور العراق عشرات الأوروبيين والأميركيين وسيّاح من جنسيات أخرى في ظروف سرية، ولا تُعلَن غالبية هذه الزيارات من قبل السيّاح إلا بعد انتهاء زياراتهم وعودتهم إلى بلدانهم الأصلية، لأسباب تتعلق باحتمالية المخاطر أو التهديدات التي قد يتلقونها من الجماعات الإرهابية المرتبطة بتنظيم «داعش»، أو المليشيات المتشددة، التي ترى الانفتاح الثقافي والسياحي والترفيهي بين العراق ودول العالم، من عين استخبارية مرتبطة عادة بنظرية المؤامرة، خصوصاً المليشيات المدعومة من إيران.

وخلال الأشهر الماضية وصل سياح أجانب إلى بلاد الرافدين، وهي حالة لم يشهدها العراق منذ عقود، الأمر الذي أعاد لأذهان العراقيين ذكريات أمجادهم القديمة في التواصل مع العالم، ولا سيما أن العراق يحتوي على العديد من المناطق السياحية، كالأهوار والأنهر والغابات والمناطق الصحراوية الجاهزة للتخييم، وعشرات المواقع الأثرية، مثل أور وبابل ونينوى وغيرها، إضافة إلى مناطق السياحة الدينية، مثل المراقد والمزارات والجوامع ويتداول ناشطون عراقيون وصفحات على مواقع التواصل، بعض منشورات السياح الأجانب وآرائهم وصورهم، وهم يتجولون في بغداد ومحافظات جنوبيّ البلاد والمناطق الغربية والشمالية، معتبرين أن هذه حالة مشجعة لإعادة تصدير المرافق السياحية العراقية من قبل السلطات والجهات الحكومية المختصة لاستقبال مزيدٍ منهم، وتهيئة الظروف الأمنية لزياراتهم، إضافة إلى تفعيل الجانب السياحي وتشغيل الأيدي العاملة المحلية في تدعيم هذا القطاع المهمل.

وما ساعد على الدفع بهذا الاتجاه، الآراء الجيدة من قبل السياح، التي تصف فترة وجودهم في العراق على أنهم لم يتعرضوا لمضايقات، كذلك إن كثيراً منهم تعرّف إلى أشخاص جيدين يتمتعون بالأخلاق الحسنة والكرم، وهي عادة أصلية عند العراقيين.

في السياق، تقول الناشطة العراقية تبارك حسن، إن «هناك سياحة سرية تحدث في العراق من قبل الأجانب، وتحديداً من قبل شريحة الشباب الذين يسعون إلى التعرف إلى تاريخ العراق القديم، وزيارة المدن الأثرية وأهوار الجنوب التي تُعَدّ مهد معظم الحضارات القديمة في بلاد الرافدين، وهناك تعاون بين بعض منظمات المجتمع المدني وغرف خاصة على مواقع التواصل، لتقديم المساعدة للسياح، إضافة إلى توفير السكن لهم»، مبينة لـ«العربي الجديد»، أن «السياحة الأجنبية إلى العراق، تمثل حالة من الرغب بالنسبة إلى السياح، لكن التعامل معها بسرية تامة إلى حين انتهاء زيارتهم هو ما يهوّن من هذه المخاطرة، التي يسببها عادة السلاح المنفلت لدى العصابات والمليشيات التي قد تفكر في تهديد السياح أو محاولة الاستيلاء على أموالهم».

أما عضو «مقهى المسافرين العراقيين» الذي كان تجمعاً على «فيسبوك»، فتحوّل فيما بعد إلى تجمع واقعي لمجموعة من الشباب في أكثر من مدينة عراقية، علاء الطيب، فأشار إلى أن «هناك رغبة كبيرة لدى سيّاح أوروبيين وأميركيين وكنديين لزيارة العراق، إضافة إلى العرب، للتعرف إلى الأماكن السياحية وآثاره وتراثه، ونحن على تواصل مع مئات الأجانب الراغبين في زيارة العراق وقضاء أوقات ممتعة فيه، لكن ما يعوق مجيئهم في بعض الأحيان، المخاوف الأمنية، ولا سيما أن العاصمة بغداد غير مستقرة، لكن في محافظات غربيّ العراق وجنوبيّه لا مخاوف على أمن السيّاح».

وأكد الطيب لـ«العربي الجديد»، أن تجمعهم «مقهى المسافرين العراقيين» يساعد السياح الأجانب عادة في طريقة حجز غرف في الفنادق، كذلك إن بعض السيّاح حين وصلوا إلى العراق، فضلوا الخروج من الفنادق والمبيت عند بعض أعضاء التجمع، أو في منازل لأشخاص عاديين بالقرب من المواقع السياحية، مؤكداً أيضاً أن «أكثر ما يدهش السياح، الكرم العراقي، إذ يستغربون المآدب التي تقدم أمامهم ليوم ويومين وثلاثة، ويتجولون بحرّيّة في كثير من المناطق، ويلتقطون الصور التذكارية، وينشرونها ويعمّمونها على مواقع التواصل بعد انتهاء الزيارة».

من جهته، أشار رئيس مشروع «تقارب» (منظمة غير حكومية) علي السلامي، إلى أن «العراق يشهد دخول نحو 25 سائحاً أجنبياً شهرياً، بشكلٍ منفرد، وليس بشكل مجموعات، ويتوزعون على مختلف المناطق العراقية، ووجدنا خلال الأشهر الماضية، اهتماماً بالغاً من قبلهم بمنطقة الأهوار الجنوبية، إضافة إلى مدينة الموصل، التي شهدت نهاية تنظيم داعش في البلاد».

باختصار

يتداول ناشطون عراقيون وصفحات على مواقع التواصل، بعض منشورات السياح الأجانب وآرائهم وصورهم

■■■

هناك سياحة سرية تحدث في العراق من قبل الأجانب، وتحديداً من قبل شريحة الشباب الذين يسعون للتعرف إلى تاريخ العراق القديم

■■■

العراق يشهد دخول نحو 25 سائحاً أجنبياً شهرياً، بشكلٍ منفرد، وليس بشكل مجموعات، ويتوزعون على مختلف المناطق العراقية

وأخيراً

كلام فارغ وكلام ملآن

خطيب بدلة

في الذكرى السابعة لرحيل الأديب المصري الساخر الجميل، أحمد رجب، (12 سبتمبر/ أيلول) تطفو على سطح ذاكرتي المقولة الهزلية التي دوّنها في عتبة إحدى مجموعاته القصصية: الكلام نوعان؛ كلام فارغ، وكلام مليان كلام فارغ. إذا أردنا أن نأخذ عينةً من النوع الثاني، أي الكلام المليان كلام فارغ، تبرز أمامنا، في الحال، عبارة «لا يصحّ إلا الصحيح»، فهي تبدو ذكية، وعميقة، وتُغري باستخدامها في سياقِ كتابةٍ، أو حوار، أو حديث مسترسل... ولكنها، في الواقع، ملأى بالمعاني الفارغة؛ إذ ما هو هذا «الصحيح» الذي سيصحُّ في خاتمة المطاف؟ وهل هناك مجموعة كبيرة من البشر تقرّ بأن هذا الذي حصل صحيح، ولا يوجد مَن يعارضه، أو ينقضُه، أو يشكّك فيه؟

عبارة أخرى نتداولها من دون أن نتمعن بمحتواها «أمة العرب لا تقرأ». قبل نحو ثلاثين سنة، حضر إلى مدينة إدلب كاتب مشهور، له بضعة كتب مطبوعة، وبرنامج أسبوعي في التلفزيون، ليلقي محاضرةً أذكر أن كلمة «ديمقراطية» موجودة في عنوانها. أوليتُ، مع أصدقائي المهتمين بالشؤون الثقافية والعامة، الرجلَ ما يستحق من اهتمام، وذهبنا إلى المركز الثقافي لنستمع إليه، وهناك فوجئنا بأن حجم الجمهور أكبر من المعتاد، فعزونا ذلك إلى شهرته التلفزيونية. المهم، تربّع الرجل على المنصة، وراح يتحدّث عن الديمقراطية باتزان، وبطريقة عرض موفقة، ومن ضمن ما قال إن تطبيق الديمقراطية في بلادنا العربية صعب، لأننا أمةٌ لا تقرأ. وروى لنا، من خارج أوراقه المكتوبة، حكاية جعلتنا نندهش، ونتبادل النظرات بوجوم. ملخصُها أن وزير دفاع إسرائيل، موشي دايان، صرّح للصحافة، قبل أيام من بدء حرب 1967، بأن إسرائيل ستبدأ الهجوم على كل الجبهات في تمام الساعة كذا من يوم 5 يونيو/ حزيران. وعندما سئل دايان، بعد الحرب: كيفَ تصرّح بموعد الحرب، وهو سر عسكري، أفلا تخشى أن يعلم العرب بخطتك فيباغتوك ويهزموا جيشك؟ فقال بثقة: العرب لا يقرؤون.

لا أنكر أنني أحببت هذه الحكاية، واقتنعت بها زمناً طويلاً، ورويتها لأهلي وأصدقائي، محملاً أسباب هزيمتنا لجهلنا، فطربوا لها واندهشوا... ولكننا الآن، بعدما قرأنا الكثير، نكاية بدايان، عرفنا أن أسباب الهزيمة لا تعدّ ولا تحصى، منها: تسلط العسكر على الشعوب، الحكم الفردي الارتجالي، الخطابة والشعارات الديماغوجية، أوهام الزعامة، غياب الدساتير والقوانين الحقيقية التي تضمن تداول السلطة سلمياً في هذه البلاد البائسة... وإذا دخلنا في التفاصيل نجد أن قائد الأمة العربية (!)، جمال عبد الناصر، كان قد سلم قيادةَ الجيش (الذي سيرمي إسرائيل في البحر) لضابط معلوماتُه العسكرية ضحلة، هو عبد الحكيم عامر. ومثلما ارتجل هذا القائدُ في سنة 1956 تأميم قناة السويس فاستجلب العدوان الثلاثي، ارتأى في 1967 أن يهيئ أسباب الحرب، فمنع إسرائيل من الإبحار في مضيق تيران، (كان هو مَن سمح لها بالإبحار)، وطلب من القوات الدولية التي تفصل بين جيش بلاده وجيش إسرائيل المغادرة، ولم يصغ لتحذيرات السوفييت بخصوص الحشود الإسرائيليةَ، فخسرنا الحرب بجدارة.

> هل هناك مجموعة كبيرة من البشر تقرّ بأنّ هذا الذي حصل صحيح، ولا يوجد مَن يعارضه، أو ينقضه، أو يشكّك فيه؟

لنفرض جدلاً أن العرب، بشكل عام، لا يقرؤون، ألم يكن حرياً بعبد الناصر، ونور الدين الأتاسي، وعبد الحكيم عامر، وحافظ الأسد، وصلاح جديد، وهيئات الأركان، وقيادات التوجيه المعنوي في الدولتين، أن يقرأوا تصريحات دايان، وكلهم يعرفون أن الحرب على الأبواب؟ ثم، لو قرأنا - نحن العرب الدراويش المساكين - تلك التصريحات، ماذا يمكن أن نفعل بها؟ لم يكن موشي دايان مثقفاً ولا أديباً ولا فيلسوفاً، لكنّ إعلام الهزيمة الدائمة الذي أسّس له أحمد سعيد، وتبنّاه الإعلام البعثي، نقل عنه أقوالاً مأثورة تنتمي إلى جنس الكلام الفارغ، كقوله: لا أخاف من العرب مهما جمعوا من السلاح والعتاد، ولكني سأرتجف منهم إذا رأيتهم يصطفّون بالنظام لركوب الحافلة.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**